خُلُقُ التَّفَاؤُلِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا..

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّها الْمُسْلِمُونَ :

خَصْلَةٌ حَمِيدَةٌ، وَخُلُقٌ نَبِيلٌ يُعَبِّرُ عَنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ –تَعَالَى- وَالثِّقَةِ بِهِ، وَيَجْلِبُ السَّعَادَةَ إِلَى الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ: إِنَّهُ خُلُقُ التَّفَاؤُلِ وَالَّذِي فِيهِ تَقْوِيَةٌ لِلْعَزَائِمِ، وَمَعُونَةٌ عَلَى حُصُولِ الْمَقْصُودِ، وَبَاعِثٌ عَلَى الْجِدِّ، وَكَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ- يُعْجِبُهُ الْفَأْلُ الْحَسَنُ، وَيَكْرَهُ الطِّيَرَةَ؛ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، وَقَدْ سَأَلَ الصَّحَابَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَقَالُوا مُسْتَفْسِرِينَ

عَنْ مَعْنَى الْفَأْلِ، فَقَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ فَقَالَ لَهُمْ: «الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ».

وَمَنْ سَبَرَ حَيَاةَ الْمُصْطَفَى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَجَدَهَا مَلِيئَةً بِالْفَأْلِ وَالتَّفَاؤُلِ، حَتَّى فِي لِقَائِهِ مَعَ عَدُوِّهِ اللَّدُودِ؛ فَإِنَّهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا كَانَ فِي صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ -هُوَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو-، قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَقَدْ سَهُلَ أَمْرُكُمْ».

فَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ الصَّالِحَةُ تَبْعَثُ الِاطْمِئْنَانَ وَالرَّاحَةَ فِي النَّفْسِ، لَا سِيَّمَا فِي أَوْقَاتِ الْكَرْبِ، فَتُعْطِي الْإِنْسَانَ بُشْرَى لِرَفْعِ الْكَرْبِ، وَلَا شَكَّ أَنَّنَا فِي كَرْبَةٍ وَأَزْمَةٍ مَعَ هَذَا الْمَرَضِ الْمُنْتَشِرِ، وَالتَّفَاؤُلُ فِي ظِلِّ الْأَزْمَةِ وَفِي قَلْبِ الْغُمَّةِ هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَهُوَ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ وَالثِّقَةِ بِوَعْدِهِ.

وَالْفَأْلُ فِيهِ مَعْنَى الصَّبْرِ وَالرِّضَا، وَالنَّصْرِ وَالْعِزِّ وَالرَّجَاءِ، وَهُوَ أُولَى خُطُوَاتِ الْعَمَلِ، وَالتَّشَاؤُمُ أُولَى خُطُوَاتِ الْكَسَلِ وَالْإِخْلَادِ إِلَى الْأَرْضِ وَاتِّبَاعِ الْهَوَى. وَهُوَ

–أَيِ: الْفَأْلُ- كَالْمَرْهَمِ عَلَى الْجُرْحِ، وَالتَّشَاؤُمُ كَالْمِلْحِ عَلَى الْجُرْحِ، وَفِي الْفَأْلِ ثِقَةٌ بِاللهِ، وَإِيمَانٌ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَفِي التَّشَاؤُمِ سُوءُ ظَنٍّ بِاللهِ وَرِيبَةٌ فِي قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ. فَالْفَأْلُ حَيَاةٌ، وَالتَّشَاؤُمُ وَفَاةٌ.

الْفَأْلُ نُورٌ لِلْفَتَى وَسَعَادَةٌ
فَاهْنَأْ بِدَرْبٍ يَسْتَضِيءُ بِفَالِكَا
مَا الشُّؤْمُ إِلَّا ظُلْمَةٌ وَشَقَاوَةٌ
مَنْ نَالَ مِنْهُ الشُّؤْمُ أَصْبَحَ هَالِكَا

فَأَحْسِنُوا الظَّنَّ بِرَبِّكُمْ وَتَفَاءَلُوا، ثُمَّ ثِقُوا بِجُهُودِ دَوْلَتِكُمُ الْمُبَارَكَةِ؛ فَكَمْ تَعَامَلَتْ مَعَ مَلَايِينِ الْحُجَّاجِ وَالْمُعْتَمِرِينَ عَلَى مَدَارِ الْعَامِ فِي ظِلِّ انْتِشَارِ الْأَمْرَاضِ الْفَايْرُوسِيَّةِ الْكَثِيرَةِ فِي أَكْثَرَ مِنْ مَوْسِمٍ، وَكُنَّا نَسْمَعُ إِعْلَانَ الدَّوْلَةِ فِي كُلِّ عَامٍ خُلُوَّ هَذَا الْمَوْسِمِ مِنْ أَمْرَاضٍ مُعْدِيَةٍ، وَأَيْضًا هَذَا الْمَرَضُ -كُورُونَا الْمُسْتَجَدُّ- كَمَا ذَكَرَ الْأَطِبَّاءُ النَّاصِحُونَ فِي بِلَادِنَا هُوَ أَضْعَفُ فَايْرُوسٍ مَرَّ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ مُقَارَنَةً بِغَيْرِهِ؛ فَحَالَةُ الْهَلَعِ وَالذُّعْرِ وَالْخَوْفِ

يَنْبَغِي أَنْ نُبْعِدَهَا عَنْ قُلُوبِنَا، وَلَا يَعْنِي أَنْ نُهْمِلَ أَنْفُسَنَا وَنَتْرُكَهَا فَرِيسَةً لِلْأَمْرَاضِ ... لَا؛ وَلَكِنْ نَتَّبِعُ أَوَامِرَ الدَّوْلَةِ وَإِرْشَادَاتِهَا وَتَوْجِيهَاتِهَا، وَنُطَبِّقُهَا وَهَذِهِ كُلُّهَا أَسْبَابٌ شَرْعِيَّةٌ، ثُمَّ نُفَوِّضُ أَمْرَنَا إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}.

فَعَلَيْنَا جَمِيعًا أَنْ نُعْمِلَ خَصْلَةَ التَّفَاؤُلِ، وَنُهْمِلَ خَصْلَةَ التَّشَاؤُمِ الْمُهْلِكَةِ، وَحَالَةَ الذُّعْرِ مِنْ هَذَا الْمَرَضِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مُبَرِّرٌ؛ فَبِلَادُنَا -وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ- لَمْ يَتَفَشَّ فِيهَا هَذَا الْفَايرُوسُ، وَلَنْ يَتَفَشَّى بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى، فَنَحْنُ مُفَوِّضُونَ أَمْرَنَا إِلَى اللهِ تَعَالَى بَعْدَ فِعْلِ الْأَسْبَابِ الشَّرْعِيَّةِ، وَمِنْ أَهَمِّهَا: مَا دَعَا إِلَيْهِ وَلِيُّ أَمْرِنَا مِنَ الْبَقَاءِ فِي بُيُوتِنَا.

أَسْأَلُ اللهَ -تَعَالَى- أَنْ يَرْزُقَنَا حُسْنَ الظَّنِّ بِهِ، وَالظَّفَرَ بِمَا عِنْدَهُ، وَأَنْ يَحْفَظَ عَلَيْنَا دِينَنَا، وَعَافِيَتَنَا، وَصِحَّتَنَا، وَأَمْنَنَا، وَأَنْ يَدْفَعَ عَنَّا الْغَلَاءَ وَالرِّبَا وَالزِّنَا وَالزَّلَازِلَ

وَالْمِحَنَ، وَسُوءَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، عَنْ بَلَدِنَا هَذَا، وَعَنْ سَائِرِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.